الرسالة المدنية

في تحقيق

(المجاز والحقيقة * في صفات الله تعالى)

تأليف

شيخ الاسلام علم الاعلام ، العالم الرباني (تقي الدين احمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام الشهير بابن تيمية الحنبلي) المتوفى سنة ٧٢٨ هـ
قدس الله روحه ونور ضريحه

الطبعة الثانية

*وقف على تصحيحها بقدر الامكان وتعليق حواشيها الراجي عفو ربه *

محمد عبد الرزاق حمزه

المدرس بالمسجد الحرام ـ بمكة المكرمة

طبعت بنفقة

(محمد صالح بن حسن نصيف)

مطبعة السلفية ـ بمكة المكرمة

١٣٥١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام على جيرانه سكان المدينة الطيبة من الاحياء والاموات ، من المهاجرين والانصار ، وسائر المؤمنين ورحمة الله وبركاته الى الشيخ الامام العارف الناسك شمس الدين كتب الله فى قلبه الايمان ، وايده بروح منه وآتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علما ، وجعله من اوليائه المتقين ، وجزبه المفلحين ، وخاصته المصطفين ، ورزقه اتباع نبيه باطنا وظاهراً ، والالحاق به فى الدنيا والآخرة انه ولى ذلك ، والقادر عليه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، وهو للحمد اهل ، وهو على كل شيء قدير ، واسأله ان يصلى على صفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ، محمد واله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين كثيراً ، كما هو اهله ، وكما ينبغى لكرم وجهه ، وعز جلاله ، وقد وصل ما ارسلتم من الكتب الثلاثة ، ونسأل الله ونرجو منه ان يكون ما قضاه من مرض ونحوه من مصائب الدنيا مبلغا لدرجات قصر عنها العمل وسبق فى ام الكتاب انها ستنال ، وتكون الخيرة فيما اختاره الله لعباده المؤمنين ، وقد علمنا من حيث العموم ان الله لا يقضى للمؤمن قضاء الا كان خيراً له ، ونسأل الله ان يتولاكم بحسن رعايته ويحقق لكم مقام ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ولاحول ولا قوة الا به ، مع انا نرجو ان تكون رؤية التقصير وشهادة التأخير عن نعمة الله على عبده المؤمن التى يستوجب بها التقدم ويتم له بها النعمة ويكفى بها مؤونة شيطانه المزين له سوء عمله ، ومؤونة نفسه التى تحب ان تحمد بما لم تفعل ، وتفرح بما أتت ، وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لايشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ﴾ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف الا يقبل منه » وفى اثر اظنه عن عمر أو ابن مسعود من قال انه مؤمن فهو كافر ومن قال انه فى الجنة فهو فى النار وقال والله الذى لا اله غيره ما من احد على ايمان ويسلبه عند الموت الا يسلبه (؟) وقال ابو العالية

ادركت ثلاثين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف على نفسه النفاق ، وقال الصديق رضى الله عنه ان الله ذكر اهل الجنة فذكرهم باحسن اعمالهم وذكر اهل النار فذكرهم باقبح اعمالهم فيقول الرجل اين انا من هؤلاء - يعني وهو منهم - هذا الكلام او قريبا منه - فليبرد القلب من حرارة هذه الشهادة انها سبيل مهيع لعباد الله الذين اطبق شهداء الله فى ارضه انهم كانوا من الله بالمكانة العالية مع ان الازدياد من هذه الشهادة هو النافع من الامر الغالب ما لم يفض الى تسخط للمقدور واياس من روح الله او فتور عن الرجاء والله تعالى يتولاكم ولا يكلكم الى احد غيره

واما ما ذكرت من الاسباب الاربعة التى لابد فيها من صرف الكلام من حقيقته الى مجازه فانا اذكر ملخص الكلام الذى جرى بينى وبين بعض الناس فى ذلك وهو ما حكيته لك وطلبته وكان ان شاء الله لك ولغيره به منفعة على ما فى الحكاية من زيادة ونقص (قال لى بعض الناس): اذا اردنا ان نسلك طريق سبيل السلامة والسكوت وهى الطريقة التى عليها السلامة قلنا كما قال الشافعى رضى الله عنه : آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واذا سلكنا طريق البحث والتحقيق فان الحق مذهب من يتأول آيات الصفات واحاديث الصفات من المتكلمين (فقلت) له أما ما قال الشافعى فانه حق يجب على كل مسلم اعتقاده ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه فانه سلك سبيل السلامة فى الدنيا والآخرة واما اذا بحث الانسان وفحص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذى يخالفون به اهل الحديث كله باطلا وتيقن ان الحق مع اهل الحديث باطنا وظاهرا فاستعظم ذلك وقال : أتحب لاهل الحديث ان يتناظروا فى هذا فتواعدنا يوما فكان فيما تفاوضناه ان امهات المسائل التى خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الاشعرى لاهل الحديث مسائل ، وصف الله بالعلو على العرش ، ومسألة القرآن ، ومسألة تأويل الصفات (فقلت) له نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات فانها الأم والباقى من المسائل فرع عليها وقلت له مذهب اهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الاحاديث

تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضى الى تعطيل ، وتكييف يفضى الى تمثيل وقد اطلق غير واحد ممن حكى اجماع السلف منهم الخطابى مذهب السلف انها تجرى على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها وذلك ان الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية فنقول ان له يداً وسمعاً ولا نقول ان معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم (وقلت له) وبعض الناس يقول مذهب السلف ان الظاهر غير مراد ويقول اجمعنا على ان الظاهر غير مراد وهذه العبارة خطأ اما لفظا ومعنى او لفظا لا معنى لان الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين احدهما ان يقال ان اليد جارحة مثل جوارح العباد ، وظاهر الغضب غليان القلب لطلب الانتقام ، وظاهر كونه فى السماء ان يكون مثل الماء فى الظرف فلا شك ان من قال هذه المعانى وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والاحاديث فقد صدق واحسن اذ لا يختلف اهل السنة ان الله تعالى ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله بل اكثر اهل السنة من اصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة لكن هذا القائل اخطأ حيث ظن ان هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والاحاديث وحيث حكى عن السلف ما لم يقولوه، فان ظاهر الكلام هو ما يسبق الى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع وقد يكون بسياق الكلام ، وليست هذه المعانى المحدثة المستحيلة على الله تعالى هى السابقة الى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات اعراضا تدل على حدوثنا يمتنع ان يوصف الله تعالى بمثلها فكذلك ايدينا ووجوهنا ونحوها اجسام محدثة لا يجوز ان يوصف الله تعالى بمثلها ، ثم لم يقل احد من اهل السنة اذا قلنا ان لله علما وقدرة وسمعا وبصراً أن ظاهره غير مراد ثم نفسره بصفاتنا فكذلك لا يجوز ان يقال ان ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم او عرض للجسم ومن قال ان ظاهر شيء من اسمائه وصفاته

غير مراد فقد اخطأ لانه ما من اسم يسمى الله به الا والظاهر الذى يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضى الى ان يكون جميع اسمائه وصفاته قد اريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الفساد

(والمعنى الثانى)ان هذه الصفات انما هى صفات الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله نسبتها الى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء الى ذاته فيعلم ان العلم صفة ذاتية للموصوف وله خصائص ، وكذلك الوجه ولا يقال انه مستغن عن هذه الصفات لان هذه الصفات واجبة لذاته ، والاله المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات ، وليس غرضنا الآن الكلام مع نفاة الصفات مطلقا وانما الكلام مع من يثبت بعض الصفات ، وكذلك فعله فعلم ان الخلق هو ابداع الكائنات من العدم وان كنا لا نكيف ذلك الفعل ولا يشبه افعالنا اذ نحن لا نفعل الا لحاجة الى الفعل والله غنى حميد وكذلك الذات تعلم من حيث الجملة وان كانت لا تماثل الذوات المخلوقة ولا يعلم ما هو الا هو ولا يدرك لها كيفية فهذا هو الذى يظهر من اطلاق هذه الصفات وهو الذى يجب ان يحمل عليه فالمؤمن يعلم احكام هذه الصفات وهو الذى اريد منه فيعلم ان الله تعالى على كل شيء قدير، وان الله قد احاط بكل شيء علما ، وان الارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وان المؤمنين ينظرون الى وجه خالقهم فى الجنة ويتلذذون بذلك لذة ينغمس فى جانبها جميع اللذات ونحو ذلك كما يعلم ان له ربا وخالقا ومعبودا ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب

(قلت له) افيجوز ان يقال ان الظاهر غير مراد بهذا التفسير فقال لا يمكن هذا فقلت له من قال : ان الظاهر غير مراد بمعنى ان صفات المخلوقين غير مرادة قلنا له اصبت فى المعنى لكن اخطأت فى اللفظ ، واوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا الى غرضهم وكان يمكنك ان تقول تمر كما جاءت على ظاهرها مع العلم بان صفات الله تعالى ليست كصفات المخلوقين وانه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه او نقصه ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثانى وهو

مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والاشعرية وغيرهم فقد اخطأ ثم اقرب هؤلاء الجهمية الاشعرية يقولون : ان له صفات سبع الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر وينفون ما سواها وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها واما المعتزلة فهم ينفون الصفات مطلقا ويثبتون احكامها وهي ترجع عند اكثرهم الى انه عليم قدير

واما كونه مريدا متكلما فعندهم انها صفات حادثة أو اضافية او عدمية وهم اقرب الناس الى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس حيث زعموا ان الصفات كلها ترجع الى سلب او اضافة او مركب من سلب واضافة فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسل . ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرا ناقداً وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعا انهم يلحدون في اسمائه واياته وأنهم كذبوا بالرسل والكتاب وبما ارسل به رسله ولهذا كانوا يقولون البدع مشتقة من الكفر وآيلة اليه ويقولون ان المعتزلة مخانيث الجهمية والفلاسفة ، والاشعرية مخانيث المعتزلة وكان يحى بن عمار يقول المعتزلة الجهمية الذكور والاشعرية الجهمية الاناث ومرادهم الاشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية . واما من قال منهم بكتاب الابانة الذي صنفه الاشعري في اخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من اهل السنة لكن مجرد الانتساب الى الاشعري بدعة لاسيما و(انه) بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة وينفتح بذلك ابواب شر والكلام في هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير

(قلت له) اذا وصف الله نفسه بصفة او وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم او وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعالى وحقيقتها المفهومة منها الى باطن يخالف الظاهر ومجاز يخالف الحقيقة لا بد فيه من أربعة اشياء (احدها) ان ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي لان الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا بلسان العرب ولا يجوز ان يراد منه خلاف لسان العرب او خلاف الالسنة كلها فلابد ان يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ والا فيمكن كل مبطل ان يفسر اي لفظ باي معنى سنح له وان لم يكن له

اصل فى اللغة (الثانى) ان يكون معه دليل يوجب صرفه اللفظ عن حقيقته الى مجازه ، والا فاذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة وفى معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف باجماع العقلاء . ثم ان ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل قاطع عقلى او سمعى يوجب الصرف وان ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلابد من دليل مرجح للحمل على المجاز (الثالث) انه لابد من ان يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض والا فاذا قام دليل قرآنى أو ايمانى يبين ان الحقيقة مرادة امتنع تركها . ثم ان كان هذا الدليل (نصا) لم يلتفت الى نقيضه وان كان ظاهرا فلابد من الترجيح (الرابع) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام واراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلابد ان يبين للامة انه لم يرد حقيقته وانما اراد مجازه ، سواء عينه اولم يعينه ، لاسيما فى الخطاب العلمى الذى اريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون عمل الجوارح . فانه سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً وهدى وبيانا للناس وشفاء لما فى الصدور وارسل الرسل لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

ثم هذا الرسول الامى العربى بعث بافصح اللغات وابين الالسنة والعبارات . ثم الامة الذين اخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وانصحهم للامة وابينهم للسنة فلا يجوز ان يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره الا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره ، اما بان يكون عقليا ظاهراً مثل قوله ﴿ وأوتيت من كل شىء ﴾ فان كل احد يعلم بعقله ان المراد اوتيت من جنس مايؤتاه مثلها . وكذلك قوله ﴿ خالق كل شىء ﴾ يعلم المستمع ان المراد ان الخالق لايدخل فى هذا العموم ، اوسمعيا ظاهرا مثل الدلالات فى الكتاب والسنة التى تصرف بعضها الظواهر ولا يجوز ان يحيلهم على دليل خفى لايستنبطه الا أفراد الناس سواء كان سمعيا أو عقليا ، لانه اذا تكلم بالكلام الذى يفهم منه معنى واعاده مرات كثيرة وخاطب به الخلق كلهم ــ وفيهم الذكى والبليد والفقيه وغير الفقيه وقد اوجب عليهم ان يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويعتقدوا موجبه ، ثم اوجب ان لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئا من ظاهره لان هناك دليلا خفيا يستنبطه افراد من الناس يدل على انه لم يرد ظاهره كان تدليسا وتلبيساً وكان نقيض البيان وضد الهدى . وهو بالالغاز والاحاجى اشبه منه

بالهدى والبيان . فكيف اذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره اقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على ان الظاهر غير مراد؟ كيف اذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة ؟ !

فسلم لى ذلك الرجل هذه المقامات

(قلت) : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ونجعل الكلام فيها انموذجا يحتذى عليه ، ونعبر بصفة اليد وقد قال تعالى ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ وقال تعالى لابليس ﴿ مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى ﴾ وقال تعالى ﴿ وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وقال تعالى ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ وقال تعالى ﴿ بيدك الخير انك على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ﴾ وقد تواتر فى السنن مجيء اليد فى حديث النبي صلى الله عليه واله وسلم . فالمفهوم من هذا الكلام ان لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وانه سبحانه وتعالى خلق آدم بيده دون الملائكة وابليس ، وانه سبحانه وتعالى يقبض الارض ويطوى السموات بيده اليمنى وان يديه مبسوطتان ، ومعنى بسطهما بذل الجود وسعة العطاء لما كان الجود فى الغالب يكون ببسط اليد ومدها وتركه يكون ضما لليد الى العنق صار من الحقائق العرفية اذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل كما قال تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ ويقولون فلان جعد البنان وسبط البنان

(قلت) له فالقائل ان زعم انه ليس له يد من جنس ايدى المخلوقين وان يده ليست جارحة فهذا حق وان زعم انه ليس له صفات زائدة على الصفات السبع فهو معطل فيحتاج الى تلك المقامات الاربعة . (اما الاول) فيقول ان اليد بمعنى النعمة والعطية سمى الشيء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات سماء . ومنه قولهم : لفلان اياد عندى وقول ابى طالب لما فقد النبي صلى الله عليه واله وسلم

يا رب رد راكبى محمدا ردّه على واصطنع عندى يدا

وقول عروة بن مسعود لابى بكر يوم الحديبية : لو لا يد لك عندى لم اجزك بها لاجبتك . وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لان

القدرة هي تحرك اليد يقـولون فلان له يد في كذا وكذا . ومنه قـول زياد لمعاوية : اني قد امسكت العراق باحدى يدي ويدي الاخرى فارغة يريد نصف قدرتي ضبط العراق . ومنه قوله ﴿ بيده عقدة النكاح ﴾ والنكاح كلام يقال وانما معناه انه يقدر عليه وقد يجعلون اضافة الفعل اليهـا اضافة الفعـل الى الشخص نفسه لان غالب الافعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد اشارة الى انه فعل بنفسه قال الله تعالى ﴿ لقد سمـع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ﴾ الى قوله ﴿ ذلك بما قدمت ايديكم ﴾ لان بعض ما قـدموه كلام تكلموا به وكذلك قوله ﴿ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ﴾ الى قوله ﴿ ذلك بما قدمت ايديكم ﴾ والعرب تقول يداك اوكتا وفوك نفخ توبيخا لكل من جر على نفسه جريرة لان اول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه

(قلت له) ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في اسمائه وآياته تأولوا قوله ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ وقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ على هذا كله فقالوا : بقدرته وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير ان يكون هناك يد حقيقة بل هذه اللفظة قد صارت حقيقة في العطاء والجود وقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ اي خلقته انا وان لم يكن هناك يد حقيقة

(قلت له) فهذه تأويلاتهم ؟ قال نعم

(قلت له) فننظر فيما قدمناه (المقام الاول) ان لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة لان من لغة القوم استعمال الواحـد في الجمع كقوله ﴿ ان الانسان لفي خسر ﴾ ولفظ الجمع في الواحد كقوله ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ ولفظ الجمع في الاثنين كقوله ﴿ صغت قلوبكما ﴾ اما استعمال اللفظ الواحد في الاثنين والاثنين في الواحد فلا اصل له . لان هذه الالفاظ عدد وهي نصوص في معناها لا تجوز فيها فلا يجوز ان يقول عندي رجل ويعني رجلين ولا عندي رجلان وهو يعني به الجنس . لان الاسم الواحد يدل على الجنس والجنس في الواحد شائع وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس، والجنس يحصل بحصول الواحد فقوله ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ لا يجوز ان يريد به القدرة لان القدرة صفة واحدة ولا يجوز ان يعبر بالاثنين عن الواحـد . ولا يجوز ان يراد به

النعمة لان نعم الله لا تحصى فلا يجوز ان يعبر عن النعم التى لا تحصى بصيغة التثنية . ولا يجوز ان يكون لماخلقت انا لانهم اذا ارادوا ذلك أضافوا الفعل الى اليد فتكون اضافة اليد اضافة له الى الفعل كقوله ﴿ بما قدمت يداك ﴾ و﴿ قدمت ايديكم ﴾ ومنه قوله ﴿ مماعملت ايدينا انعاما ﴾ اما اذا أضافوا الفعل الى الفعل وعدى الفعل الى اليد بحرف الباء كقوله ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ فانه نص فى انه فعل الفعل بيده . ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى ان يقول فعلت هذا بيدى او فلان فعل بيديه الا وقد يكون فعله بيديه حقيقة ولا يجوز ان يكون لا يد له او يكون له يد والفعل وقع بغيرها وهذا الفرق المحقق يبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويبين ان الآيات لاتقبل المجاز ألبتة من جهة نفس اللغة قال لى : فقد اوقعوا الاثنين موقع الواحد فى قوله ﴿ القيا فى جهنم ﴾ وانما هو خطاب للواحد

(قلت له) : هذا ممنوع بل قوله ﴿ ألقيا ﴾ قد قيل تثنية الفاعل كتثنية الفعل والمعنى الق الق ، وقيل انه خطاب للسائق والشهيد ، ومن قال انه خطاب للواحد قال ان الانسان يكون معه اثنان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله ، فيقول خليلى فانه يوقع هذا الخطاب وان لم يكونا موجودين كانه يخاطب موجودين فقوله ﴿ القيا ﴾ عند هذا القائل انما هو خطاب مع اثنين يقدر وجودهما فلا حجة فيه ألبتة

(قلت له) المقام الثانى ان يقال هب انه يجوزان يعنى باليد حقيقة اليد وان يعنى بها القدرة والنعمة ويجعل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما الموجب لصرفه عن الحقيقة ؟ فان قلت لان اليد هى الجارحة وذلك ممتنع على الله سبحانه

(قلت لك) هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بان له يدا من جنس ايدى المخلوقين وهذا لاريب فيه ، لكن لايحيله ان يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات

قال ليس فى العقل والسمع مايحيل هذا

(قلت) فاذا كان ممكنا وهو حقيقة اللفظ فلم ينصرف عنه الى مجازه وكل مايذكره الخصم من دليل يدل على امتناع وصفه بما يسمى به وصحت الدلالة فيسلم له ان المعنى الذى يستحقه المخلوق منتف عنه وانما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعلم والقدرة بل كالذات والوجود

(المقام الثالث) قلت له بلغك ان فى كتاب الله او فى سنة رسوله او عن احد

من أئمة المسلمين انهم قالوا المراد باليدخلاف ظاهره والظاهر غير مراد وهل فى كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية - فان اقصى ما يذكره المتكلم ﴿ قل هو الله احد ﴾ وقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ وهؤلاء الآيات انما يدللن على انتفاء التجسيم والتشبيه اما انتفاء يد تليق بجلاله فليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وكذلك هل فى العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن البارى لا يدله البتة تليق بجلاله ولاتناسب المحدثات وهل فيه ما يدل على ذلك ولو بوجه خفي. فاذا لم يكن فى السمع ولا فى العقل ما ينفى حقيقة اليدالبتة وان فرض ما ينافيها فانما هو فى الوجوه الخفية عند من يدعيه والا فى الحقيقة انما هو شبهة فاسدة . فهل يجوز ان يملا الكتاب والسنة من ذكر اليد، وان الله خلق بيده وان يديه مبسوطتان وان الملك بيده وفى الحديث مالا يحصى ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واولى الامر لا يبينون للناس ان هذا الكلام لا يراد به حقيقته ولاظاهره حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عصر الصحابة فيبين للناس مانزل اليهم على نبيهم ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق؟ وكيف يجوز ان يعلمنا نبينا صلى الله عليه واله وسلم كل شيء حتى الخراءة ويقول « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به» «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك» ثم يترك الكتاب المنزل عليه ، وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم ان ظاهره تشبيه وتجسيم وان اعتقاد ظاهره ضلال وهو لايبين ذلك ولايوضحه ، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا امروها كما جاءت مع ان معناها المجازى هو المراد وهو شيء يفهمه الاعراب حتى يكون ابناء فارس والروم اعلم بلغة العرب من ابناء المهاجرين والانصار ؟

(المقام الرابع) قلت له انا اذكر لك من الادلة الكلية القاطعة الظاهرة مايبين لك ان لله يدين حقيقة فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم عن التكبر عليه فلو كان المراد انه خلقه بقدرته أو بنعمته او مجرد اضافة خلقه اليه لشاركه فى ذلك ابليس وجميع المخلوقات قال لى فقد يضاف الشيء الى الله على سبيل التشريف كقوله ﴿ ناقة الله وبيت الله ﴾

(قلت له :) لاتكون الاضافة تشريفا حتى يكون فى المضاف معنى افرده

عن غيره ، فلو لم يكن فى الناقة والبيت من الآيات البينات ما امتازا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الاضافة والامر هنا كذلك ، فاضافة خلق آدم اليه أنه خلقه بيده توجب ان يكون خلقه بيده وانه قد فعله بيده وخلق هؤلاء بقوله ﴿كن فيكون﴾ كما جاءت به الآثار . ومن ذلك انهم اذا قالوا : بيده الملك ، او عملته يداك فهما شيئان احدهما اثبات اليد والثانى اضافة الملك والعمل اليهما . والثانى يقع فيه التجوز كثيرا (اما الاول) فانهم لا يطلقون هذا الكلام الا لجنس له يد حقيقة . ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء . فهب ان قوله ﴿بيده الملك﴾ قد علم منه ان المراد بقدرته لكن لا يجوز ذلك الا لمن له يد حقيقة . والفرق بين قوله تعالى ﴿لما خلقت بيدى﴾ وقوله ﴿مما عملت ايدينا﴾ من وجهين : (احدهما) انه هنا اضاف الفعل اليه وبين انه خلقه بيده وهنالك اضاف الفعل الى الايدى (الثانى) ان من لغة العرب انهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية اذا امن اللبس كقوله تعالى ﴿السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما﴾ وقوله ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ اى قلبا كما فكذلك قوله ﴿مما عملت ايدينا﴾

واما السنة فكثيرة جدا مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « المقسطون عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وماولوا » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . ارأيتم ماانفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافى يمينه . والقسط بيده الاخرى يرفع ويخفض الى يوم القيامة » رواه مسلم فى صحيحه والبخارى فيما اظن وفى صحيحه ايضا عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ احدكم خبزته بيديه فى السفر » وفى الصحيح ايضا عن ابن عمر يحكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « يأخذ الرب عز وجل سمواته وارضه بيديه ـ وجعل يقبض يديه ويبسطهما ـ ويقول انا الرحمن حتى نظرت الى المنبر يتحرك اسفل منه حتى انى اقول اساقط برسول الله » وفى رواية انه قرأ هذه الآية على المنبر ﴿ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قال « يقول انا الله انا الجبار» وذكره وفى الصحيح ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم « يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض ؟ » وما يوافق هذا من حديث الحبر ، وفى حديث صحيح « ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته » وفى الصحيح « ان الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق ان رحمتى غلبت غضبى » وفى الصحيح انه « لما تحاج آدم وموسى قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ونفخ فيك من روحه » وفى حديث آخر انه قال سبحانه « وعزتى وجلالى لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان » وفى حديث آخر فى السنن « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه إستخرج منه ذريته فقال هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره بيده الاخرى فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون »

فذكرت له هذه الاحاديث وغيرها ثم قلت له هل تقبل هذه الاحاديث تأويلا اوهى نصوص قاطعة ؟ وهذه أحاديث تلقتها الامة بالقبول والتصديق ونقلتها قطراً من بحر غزير . فاظهر الرجل التوبة وتبين له الحق

فهذا الذى اشرت اليه ـ احسن الله اليك ـ ان اكتبه وهذا باب واسع ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

وسئل رحمه الله

عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل « وما ترددت عن شىء انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته » ما معنى تردد الله ؟

فاجاب : هذا حديث شريف رواه البخارى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه وهو اشرف حديث روى فى صفة الاولياء . وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا ان الله لا يوصف بالتردد ، وانما يتردد من لا يعلم عواقب الامور والله عالم بالعواقب . وربما قال بعضهم ان الله يعامله معاملة المتردد

والتحقيق ان كلام رسول الله حق، وليس احد اعلم بالله من رسوله ولا انصح لامته منه ولا افصح ولا احسن بيانا منه ، فاذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من اضل الناس واجهلهم واسوئهم أدبا . بل يجب تأديبه وتعزيره ويجب ان يصان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة . والمتردد منا ـ وان كان تردده فى الامر لاجل كونه ما يعلم عاقبة الامور ـ لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فان الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما فى الفعلين من المصالح والمفاسد . فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله به كالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه كما قيل :

الشيب كره وأكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل ارادة المريض للدواء الكريه بل جميع ما يريده العبد من الاعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب . وفى الصحيح « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » وقال ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور فى الحديث فانه قال « ولا يزال عبدي يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه » فان العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب اليه اولا بالفرائض وهو يحبها ثم اجتهد فى النوافل التي يحبها ويحب فاعلها ، فاتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الارادة وبحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه والرب يكره أن يسيء عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه . والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضي به فهو يريده ولا بد منه . فالرب مريد لموته ، لما سبق به قضاؤه . وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهي المساءة التي تحصل له بالموت . فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه . وهذا حقيقة التردد . وهو ان يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه . وان كان لا بد من ترجيح احد الجانبين كما ترجح ارادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده . وليس ارادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كارادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريده . انتهى كلامه رحمه الله